وزير الثقافة السوري رياض نعسان آغا:

الثقافة هي القاعدة الأساسية للهوية والمجتمع الأهلي يدخل مجال الاستثمار الثقافي في السينما والمسرح

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر:

مناقشة مشروع ثقافي يحدد مستقبل الثقافة في سورية والوطن العربي..فنحن في بداية الألفية الجديدة ما زلنا بحاجة لأن نعيد النظر بكثير من الاولويات الثقافية، ولذلك نحن نعدّ لمنتدى دولي كبير، وبحوزتنا أيضا مشروع جديد وهو تعميق الصلة بين المثقفين العرب كي تكون الثقافة هي الجسر الذي لا ينقطع مهما كانت ظروف السياسة.

رياض نعسان اغا (القدس العربي)

منذ تسلمه وزارة الثقافة ونحن نسعى للقاء الوزير د. رياض نعسان آغا الذي حالت مشاغله دون ذلك، فهو كإعلامي وسفير سابق يدرك أهمية نسج روابط ثقافية حقيقية مع العالم، وأهمية الحوار الثقافي مع الآخر، والتي شكلت استراتيجية عمله الجديد، مع محاولة تكريس البعد المؤسساتي للوزارة. لكنه فاجأنا بحضوره الآسر في مدينة تدمر، إذ كنا مجموعة صحافيين في فندق هليوبولس، ذهبنا إليها لتغطية مؤتمر صحافي لأسرة فيلم المهد الذي بدأ المخرج محمد ملص بتصويره مؤخرا عن نص الدكتور رياض نعسان آغا، حين وصل الوزير، وأدار حديثا مطولا حول شؤون وشجون الثقافة السورية، استأذناه بنشره فرحب مشكورا.

آليات عمل جديدة

تحدث الوزير في البداية عن آليات جديدة للعمل في الوزارة، قائلا:

■ لدي أسلوب ما في العمل يكرس البعد المؤسسي في الوزارة، كل من جاء قبلي كانوا مثقفين، بالنسبة لي لدي رغبة كبيرة في توطيد الأسلوب المؤسساتي في العمل، أي عدم اتخاذ قرارات فردية، لذلك تجدون الآن عددا كبيرا من المستشارين في الوزارة، لكي لا أرتجل قرارا وكي لا أقع في خطأ.

أريد للوزارة أن يكبر دورها.. فهي كان لها دور ولم ينقطع ولم يتوقف ولكن أريد أن يتصاعد هذا الدور، لكي يشمل كل مكامن الإبداع الممكنة أو المتوقعة في سورية وفي العالم العربي، فنشاطنا في وزارة الثقافة لا يحد في سورية ، نحن نعمل في إطار واسع جدا، لذلك كان في استراتيجيتنا أولا: تعميق الصلة العميقة بين ثقافتنا في سورية وبين الثقافة العربية ومع الثقافات العالمية، وهذا ما بدأنا العمل عليه منذ سنوات، ولكننا الآن ربما نكون في مواجهة أكثر حرارة مع القضايا الراهنة، مثلا لدينا اهتمام كبير في الحوار الثقافي مع أوروبا، وهذا أمر له أولوية على سواه لوجود بعض سوء التفاهم بين الثقافتين، ولا سيما بعد الرسوم والمقالات التي تشوه الإسلام والعروبة، ولذلك وضعت في مقدمة أهدافي في هذه الوزارة: إيجاد برنامج أو آلية عمل لتعميق الصلة الثقافية مع الغرب، الأمر الثاني هو البحث عن وسائل تشاركية ثقافية مع الشرق، ففي الإطار الأول ذهبت إلى النمسا وإسبانيا، وفي الإطار الشرقي سأذهب إلى الصين.. فنحن ندرك أن العالم غرب وشرق، أي علينا العمل ضمن كل الدوائر (العربية أولا ثم الإسلامية ثانيا، والعالمية ثالثا)، والدائرة الثالثة أصبحت أكثر يسرا في التحاور بسبب ثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات الآن، مثلا نحن نستطيع التحاور مع ثقافة اليابان بسهولة بسبب ثورة الاتصالات ووجود الموبايل والانترنيت والفضائيات....

الآليات الجديدة في وزارة الثقافة هي توسيع دائرة العمل المؤسساتي وإعادة هيكلة الوزارة، وقريبا ستنتهي هذه الهيكلة، الآن لدينا مشروع ضخم هو توسيع الملاك العددي، ونفكر الآن بتحويل عدد من المديريات إلى هيئات، مثلا مديرية الآثار سيتم تحويلها إلى هيئة عامة، وكذلك مديرية المسارح، لنعطي هذه المديريات مزيدا من الاستقلالية والصلاحيات وبالتالي توسيع الملاكات، و لدينا مشروع ضخم أيضا هو الهيئة العامة للكتاب..

ولدينا مشروع آخر أدعو إليه كل المثقفين السوريين والعرب وبعض الأجانب، وهو ظهروا في سورية وفي لبنان، وهذا أمر لا أقول إنه طبيعي ولكنه يحدث، وهل كانت القيادة في سورية ولبنان راضية عن ذلك؟ أقول لا ، ولماذا لم تقاومه القيادتان؟ أقول إن مقاومة هذه الأخطاء ليست بالأمر اليسير فهو يحتاج إلى تحقيق ومتابعة، وهذه المتابعة كانت تتم، وأنتم تعلمون جميعا أنه مع انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للبنان (طبعا بقيت مزارع شبعا) بعده بقليل بدأ الانسحاب السوري من لبنان، ووصل عدد القوات السورية لأقل من 14 ألف جندي، طبعا لم يكن الانسحاب ممكنا بعد عامين من اتفاق الطائف كون الجيش الإسرائيلي كان يحتل جنوب لبنان، وحتى اللبنانيون لم يكونوا يريدون من الجيش السوري الانسحاب لكي لا يختل التوازن، وكان من الضروري دعم المقاومة.

الخروج من أزمة السينما والمسرح

■ بالعودة إلى الشأن الثقافي، منذ سنوات طويلة والحديث عن أزمة المسرح والسينما مستمر، فهل هناك خطة إنتاجية للخروج ولو قليلا من الأزمة؟

■أنا أعتقد الآن أننا خرجنا من الأزمة، ونحن لا نواجه أزمة لا في المسرح ولا في السينما، الأزمة عندما نقع في مشكلة ليس لها حل، ونحن غير مأزومين في الوزارة، المسارح في سورية موجودة، آليات وعناصر وأدوات العمل المسرحي موجودة (فالكاتب موجود والمخرج موجود والفرق المسرحية..) والعمل الذي يحتاج إلى دفع هو تنظيم هؤلاء ووضعهم في بوتقة عمل..والميزانيات موجودة، وما أنفق على المسرح في أربعة أشهر يصل للملايين، وما لم ينفق هو أكثر بكثير مما أنفق، وما قصّرنا على أحد بالمال، ولا توجد إطلاقا أية أزمة مالية، ونحن بدأنا بربط الإنتاج الثقافي بالنشاط الاستثماري.

من جهة أخرى بدأنا نفعل دور المجتمع الأهلي في الثقافة وفي دعم الثقافة، مثلا بعد تسلمي وزارة الثقافة بعشرين يوما فاجأت الجميع بتشكيل فرقة الاوركسترا السورية للموسيقا العربية، هذه الفرقة لم تكن ضمن خطة عام 2006 المالية، وليس لها رصيد مالي أبدا، ومع ذلك أقامت حفلاتها، فماذا قدمت وزارة الثقافة لهذه الحفلات؟ لا شيء..فالمجتمع الأهلي هو من دعم هذه الفرقة، وحفلات الفرقة قدمت مجانا، ولو فكرنا ببيع هذه الحفلات لن تغطي عشرة في المائة من التكاليف، لكن هناك رعاة للفرقة، هذا التفكير بتفعيل المؤسسات الأهلية لدعم الثقافة يمكّننا من تجاوز أزمات مالية كبيرة، وهذا متوفر الآن، لأن سورية تشهد نهضة في المجال الاستثماري، وما حصل مع الفرقة ينسحب على المسرح، وسنجد رعاة لكل العروض المسرحية...

■ لدينا مهرجان سينما ضخم وليس لدينا إنتاج سينمائي، أليست هذه مشكلة؟

■ الحقيقة أنا قلق بشأن السينما، وأدرك تماما أن من المشكلات الصعبة مواجهة هذا النزيف المادي الذي يستهلكه فيلم واحد أحيانا، لذلك وجّهت المدير العام لمؤسسة السينما بأن يدرج في الخطة أفلاما جديدة تصور بالديجتال، وذلك تخفيفا للنفقات، وأمامنا في خطة العام القادم ثمانية أفلام ستصور بالديجتال، هذا لا يعني أنا سنتوقف عن إنتاج أفلام (35) ملم، ولكن لن ندع هذه الأفلام تستهلك الموازنة، الأمر الثاني دعوت لمشاركة القطاع الخاص في الإنتاج السينمائي، ولدينا الآن شركاء سيكونون معنا في إنتاج هذه الأفلام. كذلك الصالات فهي قيد الدراسة، وقمنا برفع مذكرة للسيد الرئيس الدكتور بشار، و شكلنا لجنة عليا لدراسة واقع السينما عامة، وتكرم السيد الرئيس بالموافقة على كل طلباتنا، ومن بين الطلبات إعفاء الصالات من الضرائب تشجيعا للمستثمرين، وهذا الموضوع سنقدم فيه مشروع قانون إلى مجلس الوزراء لإقراره أصولا.

■ شعب صغير كشعب البحرين لا يتعدى عدد سكانه سكان مدينة سورية، أقام مجمع سينمات يتعدى العشر صالات، فإلى متى نستمر في سياسة ترميم الصالات والترقيعات الأخرى؟ وماذا يمنع وزارة الثقافة من التقدم بمشروع مجمع صالات سينما؟ ما هي خطتنا لاسترداد الجمهور؟

■ أنا أدرك أن المشكلة ليست جديدة، فالسينما لم تأخذ حقها جيدا في السنوات الماضية، والمؤسسة العامة للسينما كانت تنتج أفلاما للمهرجانات وليس للشعب، حتى أن بعض الأفلام عرضت لأيام قليلة فقط. الصالات في وضع مؤسف، كلها تحتاج إلى تأهيل، وكل الوزراء السابقين عقدوا اجتماعات كثيرة مع أصحاب دور السينما الذين وجدوا أن تحويل دورهم إلى مطاعم وبوتيكات أربح لهم، هناك قرار بمنعهم من هدم أو تحويل هذه الصالات، دون أن يكون لدى الدولة أية بدائل، ذكرتم البحرين، فهل كانت حكومة البحرين هي المبادرة لبناء الصالات؟

بالتأكيد لا، وأنا أعرف من بناها، أنا لا أريد من الحكومة أن تبني صالات، لأن الفن عمل اجتماعي شعبي، وعلى الحكومة تقديم الدعم فقط، لذلك طلبنا من المستثمرين الذين أتوا إلى سورية أن يكون في مجمعاتهم عدد من السينمات، وخلال أعوام ستشهد دمشق بناء حوالي 25 دار سينما مختلفة الحجوم والاتساعات.

■ هذا عن دمشق وماذا عن المدن الأخرى؟

■ في كل المحافظات ستكون هذه المشاريع، والمسألة مسألة وقت، وأنا كوزير ثقافة لا أريد تكرار تجربة سينما الكندي، أريد للمجتمع أن يقوم بهذا العمل ويستثمر في الثقافة، ومبدأ أن الدولة مسؤولة عن كل شيء أصبح من الماضي، ودور الدولة هو الإشراف وتقديم الدعم اللوجستي، ومثال بشار زرقان الذي افتتح دارة الفنون مثال ناجح، فنحن قدمنا له كل الدعم والرعاية الممكنة.

■ نحن نفتخر بإنتاجنا التلفزيوني، ومع ذلك لا يوجد لدينا مهرجان للدراما التلفزيونية؟

■ الحقيقة نحن كنا نريد إنشاء مهرجان للتلفزيون في أواخر الثمانينات، ولكن وجدنا أن مصر ترغب في إقامة مهرجان القاهرة التلفزيوني، ويريدونه مهرجانا عربيا وليس مصريا، فقلنا هو مهرجاننا إذا، وهذا سر مشاركتنا الواسعة به وحصدنا الجوائز، ولوجود هذا المهرجان بالقاهرة لم أعد أشعر بالحاجة لوجود مهرجان آخر في دمشق لنفس الغاية.

شاهد على

الثؤلولة ... وخيط الحرير!

خيري منصور *

■ ان كان لا بد من توطئة للعلاقة بين الثؤلولة والخيط، فهي تمتد من تراث شعبي موغل في القدم، ومن طفولة مغمورة بفوبيات لا آخر لها، لم يكن خلع الاضراس بلا تخدير وبكماشة الحلاق أقساها، فالختان البدائي والصراع المحموم مع الحصبة والضرب بالعصا او بمساطر الخشب الاشبه بالسكاكين على عُقَد الأصابع في عزّ الصقيع.. هي ذكريات ذات حراشف في الذاكرة الريفية، التي تستثيرها رائحة ما أو قرينة، وأول ما استقرّ في الذاكرة عن الثآليل هو انها نتوءات ميّتة، مطرودة من الدورة الدموية، وهي منفّرة في بعض المواقع، لهذا كانت ولا تزال تعالج بالحصار لا بالاستئصال، ظنّاً من الناس أن استئصالها لن يكون سوى مرحلة مؤقتة، لهذا كانوا يلفّون حولها وباتجاه الجذور خيط حرير يعزلها عن الجسد وعن الدم، ثم ينتظرون ذبولها، وجفافها وسقوطها!

***

حتى الان، الثآليل هي بالمعنى العضوي ما خبرناه جميعا في طفولاتنا التي تزاوج فيها العذاب مع العذوبة على نحو غجري وفريد، لكن التأويل الذي تغرينا به ثنائية الثؤلولة وخيط الحرير يتجاوز الجسد، وما هو عضوي، لأن هناك حالات انسانية وثيقة الصلة بالثآليل، وهناك أفراد مشحونون منذ الصبا بعصيان وممانعة وملقّحون ضد الامتثال غالبا ما يتم افرادهم، او نبذهم، كي يكونو عبرة للآخرين، أما الخيط الذي يستخدم في حصارهم ونفيهم عن الدورة الدموية للمجتمع، فهو ليس من حرير، وليس من خيش أيضا، انه خيط مضفور من تقاليد وأعراف، ومسلّمات تراثية لها حصانة المقدس، والثؤلولة الاجتماعية قد تتجلى في «اللامنتمي» او المارق، او المعادل البشري للبعير الأجرب والعنزة السوداء في القطيع!

وقد يكون صعاليك العرب منذ جاهليتهم ومروراً ببواكير الدولة، الأمثولات الاولى للثآليل التي يتم عزلها، وبالتالي نبذها وإقصاؤها كي لا تفسد جمهورية القطيع، ولا اظن ان افلاطون طرد الشعراء من جمهوريته الا لأنهم ثآليل تصيب القطيع الداجن بالعدوى، وتحرّضه على منافسة المؤلف في اقتراح ملكوت آخر ومُثُل أخرى، لهذا ما من تكريم للشعراء يعادل تكريم من طردهم خوفا من عدواهم ومن مناخات الممانعة التي يبثّونها في الحدائق الداجنة، لأنهم رسل الغابة المنقرضة وما تبقى من شعاع المجرّات التي تلاشت في الفضاء!

وسأقتصر في هذا المقام على ثلاثة تجليات للثؤلولة والخيط ...

الأول: اجتماعي، يتعلّق بالتربويات سواء كانت شفاهية ام مدوّنة، فالخارجون عن المدار المقرر باحكام، هم ثآليل يجب أن تحاصر حتى تذبل وتسقط، دفاعا عن عافية مُتخيّلة لمجتمع قد يكون في طور الاحتضار وهو آخر من يعلم!

والثاني: ثقافي، يتلخص في صراع لا سبيل الى ايقافه او حتى الحد منه بين الاتباعي والابداعي، وبين القديم والجديد، فما من حداثة الا وبدت للوهلة الاولى ثؤلولة، وعوملت كالبعير الاجرب، وأُفردت ثم نُبذت لكنها ما إن تعافت، واستكملت دائرتها حتى قلبت المعادلة... بحيث تُضحي هي العافية والجسد بكامله ثؤلولة... وهذا ما يفسر لنا الاعتذار المتكرر الذي تقدمه الأجيال اللاحقة للأجيال السابقة، بحيث يعاد الاعتبار للموتى رُجموا او أحرقوا او نُبذوا....

يشترك في هذا المصير سقراط وغاليليو والتوحيدي والحلاج والسهروردي وسبينوزا وجان دارك، وآخرون يصعب حصرهم!

فمن شيّدت لهم التماثيل في الساحات الكبرى كانوا لا يجدون مكانا على رصيف، كي يبيتوا فيه!

وليس هناك ما ينبيء عن أن هذه المتوالية السوداء لها نهاية، ما دام كل حديث مهدد بأن يصبح قديما، وكل ما هو قديم يجد من يحرسونه ويعصمونه من الخطأ، ويقدّسونه ويحوّلونه الى أيقونات!

والخيوط التي تستخدم في حصار هذا النمط من الثآليل او ما يظنّه التباعيون كذلك، تتعدد مصادرها، وتقنياتها، فهي احيانا تخوين، واحيانا تكفير، وفي أحسن الاحوال يكون الارتياب سببا في الحصار، وله خيطه ايضا وإن كان أوهى من خيوط العناكب،

والثالث: هو سياسي بامتياز، لأنه متعلق بنظم الحكم والاستيلاء على السلطة وبالتالي السطو على مصائر البشر، وصياغتها على هوى من يظنون انهم من طينة أخرى مجبولة بإكسير الوجود!

فالثورة التي تنجح ... تكتسب شرعيّتها على الفور من نجاحها والاطاحة بمن انقلبت عليه، لكنها اذا فشلت لاسباب عسكرية خالصة، ولا علاقة بالافكار والاخلاق تتحول الى ثؤلولة، وقد لا تستخدم الخيوط لحصارها ما دام السيف قادرا على تحقيق الهدف بطريقة أسرع وأكثر جذرية.

ولو عدنا الى ما يقوله السّخاوي وابن خلدون وحتى ابن الازرق عن الحاكم والمحكوم، فإن للثآليل حصة كبرى في هذه الملاحم التي تندرج تحت عنوان فقه السياسة،

فالسَخاوي لم يستخدم مصطلح الثؤلولة وكذلك ابن خلدون، لكنهما أشارا عبر عدة مقتربات اليه، خصوصا عندما حدد الأول مقومات الحاكم وأهليته، وحين ذهب الثاني الى أقصى حدود التشكيك بالخبر، وطالب بمقارنته بما تقدمه مصادر أخرى،

بحيث يبدو ما قاله ابن خلدون عن التاريخ المروي مسودة اولى لما صاح به هيغل عندما اعترف بأن الاباطرة كانوا يملون على المؤرخين!

***

ثقافتنا الشعبية لم تكن تعي ما اكتشفه العلم حول الثآليل، باعتبارها أوراما صغرى توقفت عن النموّ، وأنها قابلة اذا عوملت بجراحة جزافية لأن تحول الى أورام خبيثة، لهذا لم تدّخر تلك الثقافة اي احتياطي للدفاع عن الجسد المعافى والدم النقي ضد ما يفرزه من ثآليل، وسيبدو الأمر أبعد من سورياليي اذا تخيلّنا ان ثؤلولة تحاصر جسداً، ويموت بعد أن يذبل لصالح نموّها!

لكن التاريخ في بعده الآخر، يقبل تأويلا من هذا الطراز، فمن قالوا بكروية الأرض ودورانها كانوا ثآليل في زمانهم، ثم ذبلت الأجساد وازدهرت الثآليل واكتسبت شرعيتها العلمية، والشاعر والمبدع وسائر من اجترحوا آفاقا كانت محرّمة، تحولوا من ثآليل الى اجساد معافاة، واحيانا تصبح النتائج بعكس مقدماتها، بحيث تتغذى الثؤلولة المحاصرة من الخيط الذي يحاصرها، وان كان لا بد من تأويل آخر، فليكن من مشهد فلسطيني شديد الوضوح بحيث يعمي من يحدّق اليه لفرط سطوعه.

انه مشهد الاستيطان، فالطرق السّريعة والالتفافات التي حاصرت بها اسرائيل القرى والمدن الفلسطينية حولّتها الى ثآليل، وكان الرهان وما يزال على ذبولها وعزلها عن الدورة الدموية للبلاد... ثم سقوطها وموتها، لكن جدلية التاريخ قلما تعبأ بالخرافات والجرافات معاً، وقد تأتي العافية من حيث لا يحتسب القاتل، لهذا تتغذى القرى المعزولة من حصارها، لأنها تتحول الى عصامية وتعيد اكتشاف ما هو ذاتي فيها ومن صميمها!

***

لو استطردنا في البحث عن تجليات الثؤلولة وخيط الحرير فقد لا ينتهي على الاطلاق لأن ما يقتل أحيانا يحيي، وما هو سبب كاف للإبادة قد يتحوّل وفق نظرية التحدي والاستجابة الى سبب وجيه للبقاء.

والتاريخ ليس ماكرا فقط كما قال عنه هيغل وهو يرصد الكمائن والأفخاخ التي تعترض مجراه الرتّيب، إنه ايضا مجال حيوي لتجريب الارادة، وتدريبها كي تكسر المتواليات الرتّيبة، فلو قيّض مثلا للرومان أن ينتصروا الى الأبد لكنا اليوم جميعا من رعاياهم!

لهذا ما من انتصار كامل وما من هزيمة كاملة، وفي النقصان المزمن والمقيم لهما يكمن السرّ كله وكأن ما قاله الشاعر على نحو مجازي عن البعوضة التي تدمي مقلة الاسد هو الدفاع الفطري عن حق الضعيف في حصة من الحياة!

والأهم من كل هذا وما قد يليه من تداعيات هو إعادة النظر في حكاية الثآليل والخيوط الموظفة لحصارها ونبذها، فعلى صعيد آخر غير عضوي، وغير حيواني وخارج مدارات الضرورة وشروطها، ثمة ثآليل مضادة تذيب خيوط الحرير وتحولها الى جزء من نسيجها الحيّ!!!

لكن أقسى الشروط، بل أبهظ الأثمان التي يدفعها من يعاملون كالثآليل في زمن أعمى، هو أن اعادة الاعتبار لا تتم خلال حياتهم، وغالبا ما تنعم القبور بالورد الذي لا يأكله الموتى حتى لو جاعوا... لكن بعد أن يكون الدوّد الأعمى قد سمِن من أشهى ما يترقّب... وهو

* شاعر وكاتب من الاردن

قصيدتان

علي جعفر العلاق*

القصيدة

مثلما تتنبّه أنثى
إلى أول الغيثِ ، أو يتمدّدُ
غصنٌ ، على مهلهِ ،
في الظلامْ
هكذا ..
يتها البابليةُ ،
أقبلتِ : آلهةً ومجانينَ
يجتمعونَ على خمرةٍ
أينعتْ في أقاصي
الكلامْ ..

الغراب

كيف جئت ؟
ومن أي ليلٍ أتيتْ ؟
هازئاً بالفراشات، مستسلماً
للضغينةِ ، فانشرْ
رداءك في الضوءِ ،
حكَّ بجنح قطاةٍ
عراقيةٍ أصغريكَ ،
وجدّد كلامكْ
جئت من أول الليل ، من
كفن يتآكلُ ، هل
ثَمَّ حلمٌ أمامكْ .. ؟

مقفراً
دونما حيرةٍ ،
كيف تدرك مجد الربابةِ ، إذ
تتقوّسُ ، من محنةٍ ، أو تلينْ ؟

الظلام يسير إلى
حتفه ، قنفذٌ يتدثّرُ
بالليل ، أو يتعقبُ
أسئلة الميتينْ ..
مقفراً
دونما حكمةٍ ،
آيلاً للغيابْ
جئت من أين ؟ كيفَ
وصلت إلى الماء ، تحملُ
رايات هذا الخرابْ ؟

الظلام يسير إلى
منتهاهُ ، فمن أيّ هاويةٍ
جئتنا أيهذا
الغرابْ ؟

* شاعر من العراق